

میں نے اپنے دوستوں کو بتایا کہ میں نے ایک نئی چیز سیکھی ہے۔
میں نے ان کو بتایا کہ میں نے ایک نئی چیز سیکھی ہے۔

مقتضى الأمر بالاحتياط في هذه المسألة، وقد تم الاتفاق على أن لا يجرى أي إجراء من هذا النوع إلا بعد استشارة المجلس الأعلى للثورة الشعبية.

الدكتورة لطيفة محمد سالم

أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر
كلية آداب بنها

نشاط الأمير حليم :

وفقا لنظام وراثته العرش كان يحق للأُمير حليم وهو الابن الأصغر لمحمد على أن يتولى حكم مصر ، لكنه لم يتمكن من ذلك لمجهودات اسماعيل ، فالعداء كان مستحكما بينهما ، وقد رأى الأخير ضرورة القضاء على ذلك المنافس الخطير لينال مراده ، وكان التعامل بالمال هو من سماته فوصل به لاتفاق مع حليم بأن يعطيه ٦٠ ألف جنيه مصرى لمدة أربعين سنة فى سبيل أن يترك حقه فى العرش ، ونفذ الاتفاق حتى جاء قرار الحكومة فى ١٥ ديسمبر ١٨٧٩ ليخفض راتبه الى ١٥ ألف جنيه فاحتج على هذا الاجراء^(١) ، كذلك قام اسماعيل بالاستيلاء على ما يمتلكه من الأطنان الأثرية والجفالك والأبعاد العشورية وأطنان والدته بما فيها من مواشى وماكينات وطلعات ووابورات مياه وأشجار فى نظير مبالغ^(٢) وجاء فرمان ١٨٧٣ الذى بذل اسماعيل فيه الأموال ليغير نظام

(1) Egypt No, 1 (1881), No 1, Sir Rivers wilson to Earl Granville,
August, 14, 1880.

(٢) محافظ الأبحاث ، محفظة ١٢٦ ، تراجم محمد على باشا وعائلته ، دفتر نمرة ١٢ ، أوامر كريمة للدائرة السننية ، صورة الأمر الكريم نمرة ١٢ رعية ، صادر الى الإدارة في غايه ذى القعدة ١٢٨٢ (١٨٦٥) .

الوراثة ويحرم حلیم من حقه^(٣) ، ولم يلبث الأمر أن اتهمه بالتآمر عليه وأمر بنفيه خارج مصر واضطهد جميع مؤيديه فرحل أغلبهم^(٤) .

وفى الخارج بدأ يمارس نشاطه ويبذل مساعيه من أجل استرداد حقه الذى أفقده له اسماعيل فطرق جميع الأبواب ووجّه المؤيدين ، فعندما ظهرت بوادر ضعف توفيق أفق مضميه رأت فرنسا أن تحل مكانه حلیم « وكان سفير فرنسا بالاستانة مداوما على الاجتماع مع البرنس حلیم باشا »^(٥) ، وكانت صادقة فى مشاعها إذ يقول مراسل التيمز بالاستانة « توجد أصباب تدل على أن فرنسا قبلت طلب عبد الحلیم باشا حتى قبالت أنها فتحت المخابرة فى هذا الشأن »^(٦) واحتضنت باريس مناصريه فمنها خرجت صحاح يعقوب بن صنوع الذى كان يميل اليه ويرى أنه أكثر ملاءمة لحكم مصر من اسماعيل وتوفيق نظرا لما كان يعلنه حلیم من مبادئ يريد تحقيقها إذا تولى عرش مصر .

ولاعتماد حلیم على فرنسا وميلها له جعل انجلترا تشكل معارضة تجاه ذلك وتقف أمام كل خطوة للاستحواذ على حقه ، فكانت وراء حركاته وتراقب أتباعه وخاصة فى مصر عن طريق قنصلها^(٧) ، وكان من رأى دى فريسنيه الذى كتب الى جرانفيل يقترح عليه استبدال توفيق بحلیم كمن وزير خارجية انجلترا يرفض^(٨) ، هذا بالرغم من علاقات الود والتفاهم بينهما .

(3) Cromer : Modern Egypt, London 1906, p. 136.

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ، ج١ ، الطبعة الثانية ، النهضة المصرية ١٩٤٨ ، ص ٢٤٤ ومارلو : تاريخ النهب الاستعماري لمصر ١٧٩٨ — ١٨٨٢ ترجمة د. عبد العظيم رمضان ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ ، ص ٢١٧ .

(٥) اللطائف ، عدد ٢٨ يونيو ١٨٨٢ .

(٦) المفيد ، عدد ٥٣ فى ٤ مايو ١٨٨٢ .

(٧) محافظ الأبحاث ، محفظة ١١٦ ، عابدين محفظة ١٦٣ ، ملف

ثابت باشا ، برقية من الخديو الى ثابت باشا ، ٢٧ نوفمبر ١٨٨١ .

(٨) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف القرن ، ج١ ، مطبعة مصر ، ١٩٣٤ ،

ص ١٢٣ .

ويحاول حلیم استرضاء انجلترا فيتصل بالسفارة الانجليزية بالآستانة» ويوعد السفير بطرد العرابي باشا وغيره من كبار رجال الثورة واعادة النفوذ الأوروبي الى مصر كالأول في حالة اعطائه خديوية مصر»^(٩) لكن تلك التصريحات لم تلق قبولا لدى انجلترا ومضت تعارض تعيين حلیم^(١٠) ، في الوقت الذي أيدت فيه ألمانيا والنمسا اعطاءه عرش مصر فيذكر بلنت « أن ألمانيا والنمسا اللتان يمثلهما روتشلد وبعض الماليين راخيتان بالعلاج الذي استعمل عام ١٨٧٩ بدخول السلطان في المسألة وتعيين حلیم مكان توفيق »^(١١) .

أما عن الدولة العثمانية فقد كانت تميل اليه ، وتعلم بنياته ورغباته وتشجعه ، فيذكر مندوب الخديو لدى الباب العالي أنها تسمح له بالذهاب الى أوروبا « لعمل الفساد »^(١٢) ، وكان حلیم يعرف جيدا كيف يرضيها وينفذ الى داخلها فهي تعمل من أجل المزيد لمصالحها ، فعقب عزل اسماعيل رأت الفرصة لاسترجاع نفوذها في مصر وأرادت تعيين حلیم بدلا من توفيق وذلك لالغاء الامتيازات التي حصلت عليها مصر ، وقد قال محرر التيمز بعد حديث له مع اسماعيل قبل تنازله عن العرش « فهمت أن الباب العالي هو من أشار بتولية الأمير حلیم لكن انجلترا وفرنسا أشارتا على الخديو بالتنازل ووعداه بمساعدته على تولية ابنه توفيق »^(١٣) ، وبذلك تتضح الثقة التي عقدتها الدولة على حلیم وموقف انجلترا وفرنسا ازاء ذلك ومع أن فرنسا كانت تميل لنصرة حلیم الا أن النفوذ الانجليزي كان قويا في هذه المسألة .

(٩) محافظ الأبحاث ، نفس المصدر ، محفظة ١٦٤ ، ترجمة خطاب من ثابت باشا الى رئيس الديوان الخديوي ، ١١ أبريل ١٨٨٢ .

(10) Cromer : op. cit, p. 196.

(11) Blunt : Secret History of English Occupation of Egypt, London 1907, p. 276.

(١٢) محافظ الأبحاث ، نفس المصدر ، محافظة ١٦٣ ، برقية من ثابت باشا الى الخديو ، ٨ ديسمبر ١٨٨١ .

(١٣) للوطن ، عدد ٨٧ في ١٢ يوليو ١٨٧٩ .

استطاع حلیم أن یکسب بجواره الكثير من الساسة الأتراك ، ومع بداية الثورة والدولة تحوم حول احلال وال آخر مكان توفيق وأن تجعل تعيينه محدودا بمدة زمنية معينة وهي خمس سنوات ويذكر السفير الفرنسي لوزير خارجيته « أن السلطان لديه مشروعا وينتظر الفرصة لكي ينفذه »^(١٤) ، وعلى ذلك كثر تردد حلیم على السلطان لدرجة أنه كانت هناك اجتماعات تعقد معه « تم استقدام حضرة حایم باشا لدى الحضرة السلطانية وذلك عقب وفود الموسيو مالت قنصل جنرال انجلترا فى مصر على الآستانة »^(١٥) ، كما انه لم يترك مجالا الا ويقوم بعرض آرائه ومقترحاته حول المسألة المصرية^(١٦) ، بعد اذن السلطان لكنه فى نفس الوقت يرفض أن يعطيه السلطة فى حديثه اذا أظهر فيه الاشارة بأنه سيكون خائفة للخديو^(١٧) ، وهذا من سياسة الدولة المعروفة .

لم تغفل انجلترا ذلك فقد كانت على علم بكل تلك الخطوات ، وفى حديث لكوکسن مع عرابى أبان له تلك السياسة التركية من أجل اعادة حایم وتولية عرش مصر^(١٨) ، وعلى صفحات التيمز كتب مراسلها فى الآستانة يقول « ان عبد الحلیم باشا تعهد لأهل السياسة فى الاستانة بأن يكون آلة للباب العالی بمصر ويمضى ان فرض وتمكن من قصده موجب عليه أن يعطى للباب العالی الكفالات القوية عن صداقته فى المستقبل »^(١٩) ، وقد وافق

(14) Documents Diplomatique Francais, Tom IV, No 134, M. Tissot ambassadeur de France à Constantinople à m. pa thélerny Saint Hilaire Ministre des Affaires Etrangères, Thérapia, Sept. 15, 1881, p. 124.

(١٥) المصباح ، عدد ١٩٩ فى ١٩ سبتمبر ١٨٨١ .
(١٦) البرقيات الواردة من استانبول والصادرة اليها اثناء الثورة العرابية ، ترجمة الدفتر ٢٨٧ ، برقية ٤ من القبو كخذال الى الخديو فى ١٢ سبتمبر ١٨٨١ .

(17) Archives des maison, de cour et d'état, Vienne, Fasc XXX1/9, Rapport du consulat general i R au Ministre des Affaires Etrangères, le Caire, 6 Mars, 1882.

(18) Broadly : op. cit, p. 85.

(١٩) المفيد ، نفس العدد .

هذا ما ذكره عرابي «الحضرة السلطانية رغبة وتظهر كل يوم ميلها الى حلیم باشا وتقربه منها وهو يعدها بالخضوع والانقياد لأوامرها وتواهيها» (٢٠) .

ولم تعد مسألة تولية حلیم عرش مصر خافية خارجيا أو داخليا ، واهتز عرش توفيق ، ففي عهد نظارة الثورة الثانية انتشر ما يفيد بموافقة الدولة لتنازل توفيق لحليم عن الخديوية (٢١) ، وأرادت الدولة أن تنفذ ما تصبو اليه ، وأثناء مؤتمر الأستانة يذكر السفير النمساوي بالاستانة « أن السلطان عين مندوبين له في المؤتمر ، وزير الخارجية وباشا آخر من أجل مهمة سرية الى السفيرين الانجليزى والفرنسى ليقنعهما بقبول تغيير شخص الخديوى بديلا عن الحلول الأخرى باستبدال توفيق بحليم كوسيلة مناسبة يرى فيها اقرار النظام والحالة في مصر ، هذا في الوقت الذى قدم فيه هذا الاقتراح السلطان نفسه الى دفرين الذى تلقى من حكومته جوابا بالرفض ، وقد استقبل السلطان القائم بالأعمال الألماني لنفس الاقتراح » (٢٢) . هذا في الوقت الذى كان فيه يتفاهم مع عرابي في امكانية اتمام ذلك (٢٣) ، رغم انه فيما سبق هذه الفترة كان يبين انه لايهمه من يكون خديو مصر .

لكن ماذا عن موقف المصريين من حلیم ؟

(٢٠) احمد عرابي : كشف الستار عن سر الاسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية مذكرات مخطوطة محفوظة بالهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج ٢ ، ص ٣٠١ .

(٢١) محافظ الأبحاث ، نفس المصدر ، برقية من ثابت باشا الى الخديو في ٢٥ أبريل ١٨٢٠ .

(٢٢) الأرشيف النمساوي ، محفظة ٢٠ ، المجموعة ٢٦/٣١ ، رقم ١٨٤ ، برقية سفرة من البارون كالية الى وزارة الخارجية النمساوية ، التسطنطينية في ٢١ يوليو ١٨٨٢ .

(٢٣) نفس المصدر ، رقم ٥٨ ، برقية سفرة من الكونت لودولف الى الكونت كالنوكي ، روما في ٢٢ يوليو ١٨٨٢ .

كانت خطة حلیم متشعبة الأطراف خارجيا من أجل الاستحواذ على مصر ، أما داخليا فقد كثف نشاطه وأراد بكل الطرق التقرب من الثوريين الذين يمكن لهم أن ينادوا به حاكما عليهم بعد أن يسقطوا من يقف ضد ثورتهم ، وبذلك يمكن له أن يتولى العرش بناء على ارادة الشعب ويمارس سلطته كحاكم شعبي .

رأت الثورة أن يلغى نظام الحكم القائم ، وأن تجتث الشجرة العلوية من جذورها وكان عرابي يكره حلیم^(٢٤) ، بل الأسرة جميعها وكثيرا ما أعلن وضع نهاية لها^(٢٥) ، ويذكر لنا بلنت « أن هدف الثوار كان وطنيا بحثا وانهم لم يكونوا مقتنعين بولاية حلیم مكان توفيق أو بأى فرد من العائلة الخديوية »^(٢٦) .

ومع هذا كان من بين الخطة امكانية الرضا بحلیم لانهاء الحكم القائم كخطوة يمكن لهم بعدها الاطاحة به ماداموا قد برهنوا على النجاح فى اسقاط حاكم وتنصيب آخر . هذا بالاضافة الى أن حلیم كان يروج مبادئ له ليست وليدة الأحداث ولكنها من الأسباب التى جعلت اسماعيل يتخلص منه تلك التى تتفق مع مصلحة المصريين^(٢٧) ، وكانت اعلاناته وتصريحاته عقب ذلك تضع ستارا وراء تلك الطبيعة التى تتفق وصفات بقية عائلته المتسمة بروح المؤامرة والتعالى^(٢٨) ، فهو يمثل الرجل التركى الجامد الطاغى الفاسد القاسى المرتشى^(٢٩) ، لكنه يخفى ذلك كله حتى ينال مايسعى اليه ويظفر بعرش مصر .

(٢٤) محافظ الثورة العربية ، محفظة ١٣ قضايا المتهمين ، على راغب قبودان ضابط بحرى ، دوسيه ٢٤٦ .

(25) Biovés : Francais et Anglais en Egypt, Paris, 1910, p. 89.

(26) Blunt : My Diaries, vol I, London, N. D., p. 13.

(27) Chaille : Les trois Prophetes : Le Mahdi-Gordon - Arabi, Paris 1886, p. 272.

(28) Archives d'etate et de La cour, Vienne, Actes, Politico, Commerciaux, Finances 1880, No 40 pol, Schaeffer à Hay merie, le Caire, 5 Mai, 1880.

(29) Duse, M. : In the Land of the Pharaohs, London, 1911, p. 13.

أضف الى هذا انه كان له بعض الموالين في مصر ، الذين كانوا يقتنعون انه من الأوفق والمصلحة لمصر أن يكون حلیم حاكما لها في اطار الاستقلال الذاتي بمعنى أنه اذا كان ولابد من الارتباط بالدولة العثمانية في ظل الفرمانات فيفضل حلیم عن أى فرد في الأسرة العلوية ، ومن بين هؤلاء عبد السلام الموباحي فقد كان يميل اليه وهو وكيل لداثرته (٣٠) ، كذلك حسن موسى العقاد ، وعن هذا الطريق كان التأثير على اتجاه قادة الثورة .

وبدأت الاتصالات بين الطرفين ، وكان عثمان فوزي أحد أداة التفاوض — وهو شركسي الأصل وأحد مماليك محمد علي وظل مخلصا لابنته زينب وعمل وكيلا لداثرته — فساند سياسة حلیم وراح يعمل لتحقيقها ، فنراه يتحول الى جانب الثورة ويتقرب الى عرابي ويؤيد كل خطواته من أجل اعتلاء حلیم العرش ، كما كانت له علاقاته مع العقاد الذي نجح في أن يجعله من مؤيدي حلیم (٣١) .

ولم يكن عرابي يجهل نوايا عثمان فوزي لكنه لم يكن في يوم من الأيام على صلة بحلیم فلم يعثر على أية مكاتبات منه أو اليه تؤكد ذلك (٣٢) ، ولكن تناول قادة الثورة في اجتماعاتهم التي كان يحضرها عثمان فوزي والعقاد مسألة تعيين حلیم ، فيقول الأول في محضر التحقيق معه أن محمود سامي سأله عن سن حلیم « فأخبرته انه مثل سن اسـمـاعـيل باشا الخديو السابق أعنى الخمسين سنة ، فقال لي يوجد له صورة فقلت له موجود فطلبها مني وأحضرتها لهم » (٣٣) .

(٣٠) المقطم ، عدد ٧٨٨ في ٩ أكتوبر ١٨٩١ .

(31) Broadly : How we defended Arabi and his Friends, London, 1884, pp. 143, 361, 363.

(٣٢) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٨ ، قضايا المتهمين ١ ، أحمد عرابي باشا ، دوسيه ١/٥٣

(٣٣) نفس المصدر ، محفظة ١٣ ، قضايا المتهمين ، عثمان باشا فوزي ، دوسيه ٢٣٠/ب .

ومضت الدعاية لحليم الذى بذل من أجلها هو وأخته الأموال ، واتهم العقاد بنشاطه فى هذا المجال « ليصرفها فى جلب قلوب بعض الناس وترغب العالم لحضور حليم باشا » (٣٤) ، لكن العقاد أبان انه ليس فى حاجة الى تلك الأموال فقد بلغ من الثراء مداه .

كذلك كان للمختصر النسائى « الحريم » دور فى هذه المسألة ، ففى خطاب من على فهمى الى عرابى يشير الى أسماء بعض السيدات اللاتى يحضرن الى مصر ومعهم جوابات من الآستانة من طرف زينب هانم وينقلن ردها (٣٥) ، كما كانت جميع مساعى حليم فى تركيا أو خارجها تعلمها مصر ، فتزد البرقيات من الآستانة مفادها السعى فى خلع الخديو « ولم يكن يستطيع أحد أن يطالع عليها الا بعد أن يلتقى بالعقاد » (٣٦) .

وجاء موقف توفيق واحتضانه لمذكرة مايو المشتركة واحتجاج الثوار واستقالة الوزارة فى صالح حليم وتدعيما لموقفه خاصة بعد انتشار أخبار رضاء الدولة العثمانية عليه ، ومن هنا أصبح التقارب بينه وبين الثورة واضحا ، فتقول بالتيتمز « ان عرابى يعمل لخدمة حليم ليعين خديويا لمصر اعتقادا منه انه رجل أمين » (٣٧) ، وهذا فى حد ذاته اعتراف منها أن عرابى يعمل لمصلحة مصر ويريد لها الرجل الأمين وليس له أطماع فى الاستحواذ على الحكم . ونجد الطائف تذكر « تنهج الجرائد الآن باسم البرنس عبد الحليم ورضاء السلطان عنه ونجاح أعماله وهذا يفهم منه أن الحضرة السلطانية مقررة على تعيينه خديويا لمصر ورضيت بذلك

(٣٤) نفس المصدر ، محفظة ١٦ ، قضايا المتهمين ، محمود فهمى باشا ، دوسيه ١/٣٨٤ .

(٣٥) نفس المصدر ، محفظة ١٣ ، قضايا المتهمين ، الأوراق المضبوطة بمنازل المتهمين ، على باشا فهمى ، دوسيه ٢٦٤/ب .

(٣٦) نفس المصدر ، محفظة ١١ ، قضايا المتهمين ، الأوراق المضبوطة بمنازل المتهمين ، طلبه عصمت باشا ، دوسيه ١٧٦/ب .

(٣٧) The Times, May, 31, 1882.

بعض الدول وبقي البعض فهي تترضاهم قطعاً لمشاكل مضر ودفعاً لمن جلب عليها هذه الشرور» (٣٨) .

وفى اجتماع ٢٧ مايو ١٨٨٢ الذى عقده السلطان ونودى فيه بعزل توفيق ، اتجهت الأفكار الى تعيين حليم (٣٩) ، كاجراء وقتى للتخلص من توفيق ، وليأتى حليم ليرفض المذكرة ويعيد البارودى ويحكم وفقاً لرغبات الثورة ، وكان حليم قد تبنى أفكار الثورة وأظهر انه قلباً وقلباً معها وأثنى على رجالها ، ففى خطاب منه الى مندوبه فى مصر عثمان فوزى يقول له : « لاتخافوا من شىء تأتى به أعمال عربى يغير أمل الناس فيه ويخل بالراحة والاصلاح ، فانه ممن سعى هو واخوانه للاصلاح وهو ماشى بالتدبير والعقل والحكمة ، ومثل هذا الرجل العاقل يلزم أن لايفتكر فى نتيجة أعماله الا الخير والصالح لوطنه » (٤٠) ، وكثرت تلك الخطابات التى فاضت بالتأييد والتشجيع للثورة وقادتها ، بدليل انه كان عقب وصولها يطلع عليها « ديوان الجهادية » (٤١) .

وبذلك دخل حليم فى الاطار الثورى ، وأصبح من بين مضمون مراسلات القادة الى الدولة العثمانية طلب عزل توفيق وتعيين خليفة له وجرى التختيم على محاضر بهذا الشأن كان أحياناً الطلب لا يذكر اسم البديل وأخرى يذكر حليم ، فيقول العقاد « أحضرنا أحمد عربى فى منزله مع جميع العلماء والأعيان ووجدناه جارى تختيم الناس على عرضحال للحضرة السلطانية بطاب استبدال الحضرة الخديوية بدون

(٣٨) الطائف ، عدد ٥٦ فى ١١ اغسطس ١٨٨٢ .

(39) Malortis : Egypt, Native, Rulers and Foreign Interference, London 1883, p. 221.

(٤٠) محافظ الثورة العربية ، محفظة ١٣ قضايا المتهمين ، الأوراق المضبوطة بمنازل المتهمين عثمان فوزى باشا ، دوسيه ٢٣٠/ب ، ١٠ أبريل ١٨٨٢ .

(٤١) نفس المصدر ، محفظة ١٠ ، قضايا المتهمين ب ، ج ، حسن موسى العقاد ، دوسيه ١/١٢٣ .

تعيين اسم البدل وأنا ختمت بالجملة» (٤٢) ، أما المحاضر القى عين فيها طلب حلیم فقد سعى لها العقاد (٤٣) ، وأمام ذلك انهار توفيق واستدعى وكيلی انجلترا وفرنسا وأبلغهما بأن « الجهادية سوف تعزله وتعلن البرنس حلیم خديويا » (٤٤) .

وكان من بين علماء الدين من هو ميال الى حلیم ، فقد طالب الشيخ عليش تعيينه خديويا (٤٥) كما أيده الشيخ العدوي (٤٦) ، وترددت أصداء ذلك بين المصريين « محمد عبد الله عمدة الصنافين شرقية كان يحضر من المحروسة ويقول للناسي ان الخديو اتخاع بأمر السلطان وأن عرابي سيحضر عبد المطيم باشا وأن بحضوره يكون خديويا » (٤٧) ، ولعل كان الترحيب بذلك بقاء على أنه ثورة ومؤيد من قادة الثورة وخاصة عرابي ، وأنه سيكون حاكما وفقا لدستور الحزب الوطني (٤٨) .

وتكثفت مجهودات حلیم وأتباعه عقب اعلان الحرب وانضمام توفيق نهائيا للاعداء وايقاف الأمة لأوامره واعتباره شبه معزول ، ففى مسودة لخطاب عثر عليه لدى العقاد « لمناسبة انضمامه (توفيق) للانجليز وجلب حربهم على المصريين ، أصبح مشاعا انه سيأتى عساكر عثمانية الى مصر ومعها البرنس حلیم باشا ، على أن المتراءى بأنه اذا كان المقصود حضورهم لأجل رحيل الانجليز عن مياه الاسكندرية وخلافها وتوصيل

(٤٢) نفس المصدر .

(٤٣) نفس المصدر ، محفظة ١١ ، قضايا المتهمين ، سليمان داود ، دوسيه ١٥٤ .

(44) Egypt No, 11 (1882), No, 6 Sir Malet to Earl Granville, Cairo, June 1, 1882, p. 2.

(٤٥) محافظ الأبحاث ، نفس المصدر ، برقية من الخديو الى ثابت باشا فى ١٦ يونيو ١٨٨٢ .

(٤٦) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : الثورة العرابية ، ص ٨٦ .

(٤٧) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ١٥ ، قضايا المتهمين ، محمد عبد الله عمدة الصنافين شرقية ، دوسيه ٣٤٢ .

(48) Ninet : Arabi Pacha, Paris, 1884, p. 77.

البرنس الى مستقرة فلا بأس وان كان المقصود نفى عرابي باشا واخواته من مصر حسب رغبة الانجليز فلا يمكن التسليم فى ذلك» (٤٩)، وواضح أن الأنتظار قد اتجهت لعودة الأمير المنفى •

وقد اعتقد أن مؤتمر الآستانة سيعالج الموقف عن طريق تعيين حلیم لدرجة أن العقاد « جارى التجهيزات اللازمة لعمل الزينة لقدم البرنس بصفة خديو مصر » كما أنه فى خطاب منه الى حميد أبو ستيت يذكر له « أما أفندينا حلیم باشا فقد عينه حضرة السلطان خديويا على مصر ووافقت على ذلك جميع الدول ، وفقط المعارض الانجليز لتطلبهم بعض شروطا وجزما لابد عن انهو فى هذا الشهر وبعدها يتشرف الى القطر » (٥٠) ، وانتاب العسكريون نفس التوقعات بعد ان كانت مراسلات الآستانة تفيد بالموافقة على خلع توفيق وتنصيب حلیم « وانه مزعم حضور الباشا المشار اليه عن قريب » (٥١) •

وبعد أن استشم حلیم موقف الدولة العثمانية بتحولها عنه ، أراد أن يعمل بمفرده فعرض على السلطان رغبته فى السفر الى مصر لا كحاكم ولكن كمجاهد وطنى يلتحق بجيش عرابي ، وطلب منه السماح بذلك فرفض السلطان (٥٢) ، ولم يكن حلیم مصريا ولا وطنيا لكى يدافع عن مصر لكنه وجد انه يمكنه عن هذا الطريق الوصول الى قلب مصر ، ولم تساعده الظروف عندما تغيرت الأهواء العثمانية لتضع مصلحتها فوق كل الاعتبارات فثبتت توفيق على عرش مصر لتعصف بمجهودات حلیم الى الأبد •

(٤٩) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ١٠ ، قضايا المتهمين ب ، ج ، حسن موسى العقاد ، دوسيه ١٢٣ •

(٥٠) نفس المصدر •

(٥١) نفس المصدر ، محفظة ١٧ ، قضايا المتهمين ، يعقوب سامى باشا وكيل الجهادية ورئيس المجلس العرفى ، دوسيه ١/٤٠٨ •

(٥٢) البرقيات المتبادلة بين القاهرة والآستانة أثناء الثورة العرابية ، ترجمة ٢٨٨ ، برقية واردة من قدرى أفندى فى ٢٢ نوفمبر ١٨٨٢ ، ص ٥ •

دسائس الخديو اسماعيل :

يعد ما قام به اسماعيل بمصر من الأسباب التي أدت لقيام الثورة ، وقد أسعد المصريون خروجه منها إذ نقم عليه الجميع ، ولم تثبط الثورة عزيمتها لحظة عن مهاجمته لاساءته لمصر ، وهو أيضا لم يهدأ لحظة وهو أيضا لم يهدأ لحظة وهو في الخارج إذ مارس جميع نشاطاته من أجل العودة مرة ثانية الى مصر واسترجاع عرشها •

كانت علاقاته سيئة مع إنجلترا وفرنسا وهذا شيء طبيعي ، فهما اللتان عزلتاه ، أما تركيا فهي لا تترتاح اليه أبدا هذا من ناحية ، ولم تكن تستطيع أن تتصرف دون موافقة الدولتين من ناحية أخرى ، فقد أبان سفير فرنسا بالآستانة الى وزير خارجيته « ان السلطان استدعى اثنين من وزرائه لأخذ رأيهما في امكانية عودة اسماعيل لكنهما أبانا له أن إنجلترا وفرنسا ترفضان ذلك بشدة ولربما تعلن اسـتقلال مصر عن تركيا » ويمضى ليتصح بأنه يجب الوقوف أمام دسائس اسماعيل (٥٣) •

فكر اسماعيل في العودة الى مصر عن طريق الحجاز ، وكان راتب باشا مندوبه ووكيله والرجل الأول لديه في تنفيذ المخطط ، فقد أبرقت السفارة العثمانية في روما الى الخارجية بالآستانة بأن « اسماعيل باشا قد أوفد راتب باشا بالأسرار المحرمة الى الحجاز على الباكسة التي استأجرها لهذه الغاية وانه قد أوفد للاتفاق مع الشريف لتدبير المفايد وسيخرج من ميناء ينبع حتى لا يلفت اليه أنظار موظفي الحكومة في جدة » (٥٤) ، وتم الاتصال بين اسماعيل والشريف عبد المنعم شريف مكة

(53) Documents Diplomatique Francais, Tom III, No, 34, M. Fournir ambassadeur de France à Constantinople à M. De Freycinet Ministre des Affaires Etrangères, Pera, February, 25, 1880.

(٥٤) محافظ الأبحاث ، نفس المصدر ، برقية من ثابت باشا الى الخديو في ٢٠ نوفمبر ١٨٨١ •

وراح يزوده بالسلاح ويحرضه لاعلان خلافته فى الحجاز^(٥٥) ، اذ كانت لديه النية فى الخروج على الدولة العثمانية والاستقلال فاحتضن كل معارض لها •

كذلك أوجد اسماعيل علاقات مع بعض الأجانب الرأسماليين بمصر اذ رأى أنه من الممكن بواسطتهم أن يحقق مايريده ، وقد أفادت معلومات من ضبطية مصر عن هذا النشاط الذى يقومون به من « عمال دسائس لاعادة الخديو السابق واليا لمصر وهم اخوان سوارس وقطاوى بك وموسى قطاوى »^(٥٦) ، ولم يكن هؤلاء فقط بل كان هناك أعوان له يعملون من أجله •

كان اسماعيل يكره الثورة والثوار ، لكن فى سبيل مصلحته وكما عاهدناه يتقرب الى الحركة الوطنية ليصل الى أهدافه ويضرب بها أعداءه وقد هداه تفكيره أن يعود الى مصر عن طريق الثورة الموجودة فيها « فكان يرى فى ظهور أحمد عرابى واتساع كلمته واستفحال الخلل بديار مصر وتهديد مقام ولده توفيق باشا فرصة ربما كان من ورائها خلع ولده وعودته الى كرسى الخديوية »^(٥٧) • ومضى يخطط ليحقق هدفه ، فأشاع أن الثورة المصرية هى بتخريض منه وأن عرابى هو صنيعه له فأبرق سفير انجلترا من روما الى حكومته ليخبرها بأن « اسماعيل يياهى فى نابولى بأن عرابى فى جيبه »^(٥٨) ، حتى لقد وصل الأمر أن اعتقد جرانفيل فى ذلك • فاخبر بلنت أن لديه معلومات على أن اسماعيل

(٥٥) نفس المصدر ، محفظة ١٦٤ ، مذكرة ثابت باشا فى ٢٩ نوفمبر ١٨٨١ •

(٥٦) محافظ الثورة العرابية ، محفظة ٨ ، قضايا المتهمين ١ ، الأوراق المضبوطة بمنازل المتهمين ، أحمد عرابى باشا ، دوسيه ٥٣/د/٧ •
(٥٧) ميخائيل شارويعم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ، ج ٤ ، المطبعة الأميرية ١٩٠٠ ، ص ٢٧٣ •

(58) Blaunt : Secret History of the English Ocoupation of Egypt. p. 222.

مسيطر على عرابي ، وأن كل مايجرى في مصر هو مؤامرة يراد بها عودة اسماعيل » (٥٩) .

وفي مصر نرى تكدر توفيق لعلمه برغبة أبيه الأكيدة في العودة ، فكان يرسل من يتحرى عن تحركاته واتصالاته (٦٠) ، وبناء على ما أشاعه اسماعيل ، اعتقد توفيق أن هناك علاقة سرية تربطه بعرابي كما صرح بذلك إلى قنصل النمسا (٦١) .

لقد توهم اسماعيل عندما ظن أنه من الممكن أن يقدم له عرابي المساعدة للوصول إلى ما يصبو فهو يكرهه من أعماق قلبه ، وجميع تصريحاته انصبت على الهجوم عليه وبأنه المتسبب لكل ما جرى لمصر من كوارث ، ويقول بآنت : « ان موقفا عرابي في ذلك الحين أدل منه في أى وقت آخر على عدايته للباشوات الشراكسة أنصار اسماعيل الذين كانوا يدسون الدسائس لتوفيق ، فلم يكن يخفى على كل حال أن لاسماعيل أغراضا في اظهار الاضطراب في مصر على أنه لحسابه » (٦٢) هذا هو موقف القائد ، وأيده فيه العسكريون الذين عارضوا وبشدة عودة سلطة الحكم إلى اسماعيل مرة أخرى (٦٣) ، أيضا صورت الصحافة المصرية بانورااما كاملة تنطق برفض خديوى مصر السابق ، وبالتالي توغل شعور العداء في قلوب المصريين .

لم يكف اسماعيل لحظة عن العمل ، وعندما رأى استمالة العناصر

(59) Ibid, p. 221.

(٦٠) أحمد شفيق ، المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(61) Archives de maison, de cour et d'état, Vienne, Fasc XXXI/9, Rapport du consulat general à R au Caire au Ministre des Affaires Etrangères, Le Caire, 19 Fevrier, 1882.

(62) Blunt : op. cit, p. 222.

(63) The Times, April. 20 1882.

الثورية عن طريق راتب باشا فشلت محاولاته (٦٤) ، فطرق بابا آخر ، أرسل زوجته الأولى من ثابولي الى الاسكندرية ، وأيضا زوجته الثانية بدعوى أنها مريضة ومشرقة على الموت ومعها مايزيد عن ٣٥ شخصاً من الأتباع والجواري ، وعقب وصولها الى الميناء رفضت أن يكشف عليها الأطباء ، فهذا جعل توفيق يأمر بعودة تلك الزوجة على نفس الباخرة (٦٥) ، التي كان عليها ابن اسماعيل وهو يرتدى أثواب النساء ومحتجبا بالباخرة (٦٦) ، حتى انه اذا نجحت الخطة يستولى على العرش حين حضور أبيه .

أعلن عرابي رسميا رفضه لنزول الزوجة على الأرض المصرية ، وأبان أن الأمة المصرية والجيش يرفضون مجيء أى انسان يساعد الخديو السابق ويكون عضدا له ولدسائسه ، وأذاع بلاغا مفاده « أشيع على السنة العائمة عن ورود احدى نساء الخديو السابق الى الاسكندرية وأن ناظر الجهادية وضباط العسكرية يميلون الى دخولها للإقامة بالقطر المصرى وانتشرت تلك الاشاعات حتى خيف من دخولها على بعض الأذهان ، فحملنى هذا على المبادرة بتكذيب هذا الخبر عن نفسى وعن كل ضابط بل كل فرد عسكرى فى مصر ، فإن ضباط العسكرية عموما يشاركون أهالى القطر المصرى بأجمعهم فى النفور التام من دخول أى شخص يأتى من قبل الخديو السابق من نساء أو رجال لما يعلمونه عما حدث عن هذا من الضرر للبلاد » (٦٧) .

(٦٤) أبو نظارة ، عدد ٥ فى ٣ مارس ١٨٨٢ .

(٦٥) محافظ الأبحاث ، نفس المصدر ، برقية من الخديو الى القيوتخدا بالاستانة ، ١٠ ابريل ١٨٨٢ .

(٦٦) مصر ، عدد ١٧ فى ١٦ ابريل ١٨٨٢ .

(٦٧) مصر ، عدد ١٩ فى ١٩ ابريل ١٨٨٢ ، الفيدي ، عدد ٥٠ فى ٢٣ ابريل ١٨٨٢ .

ومما لاشك فيه انه كان للمعسكر المضاد للثورة أراجيفه فى هذا الشأن ، فهو يعلم أن الثورة جاءت لتقضى على مفاسد اسماعيل التى تركها فى مصر ، فاذا نسب علاقات لرجال الثورة مع هذا المستبد فربما ينفصل التلاحم وينفك الارتباط وتضرب الثورة • كما أنه كان لتلك الاثاعات التى نشرها اسماعيل صداها فى الداخل لذا كان على عرابى الوقوف أمام هذه العاصفة •

وقد حاول اسماعيل استمالة رجال الدين فى مصر لمعرفةهم ركن أساسى فى الثورة فيتصل بالشيخ حسن العدوى ليطالب منه السعى فى حضور عائلته لمصر ، كما كان يبعث بمن تموت من جواريه للصلاة عليها ودفنها بمصر^(٦٨) ، لكن لم يترك اسماعيل أى أثر طيب له حتى يفكر أحد من المصريين فى مساعدته •

وأمام تلك المحاولات لاسماعيل كانت الثورة تقف له بالمرصاد ، ولم تكن الثورة بمفردها ، كذلك توفيق اذ اعتقد أن اسماعيل أصبح مقربا للسلطان بعد السماح له بالعودة الى الآستانة^(٦٩) ، ولكن الهدف وضعه تحت المنظار وكشف المؤامرات التى يحيكها ، وراح توفيق يبحث وينقب عن كل صغيرة وكبيرة يمكن لها أن تعود بنفوذ أبيه حتى أنه عندما أشيع أن عائشة هانم رئيسة الزار — التى تبخر الخديو وملابسه وتتلوا عليه العزائم والتمائم — تجرى « أعمال دسائس من قبل اسماعيل باشا » عمل على نفيها الى سواكن ورحلت فى الحال^(٧٠) ، وشغل توفيق بتلك الاجراءات التى يقوم بها اسماعيل الى أقصى حد لدرجة أنه لم تكن

(٦٨) محافظ الثورة العربية ، محفظة ١٠ ، قضايا المتهمين ب ، ج ، الشيخ حسن العدوى مدرس بالأزهر ، دوسيه ١١٥ .

(69) Archives de maison, de cour et d'état, Vienne, op. cit.

(٧٠) محافظ الثورة العربية ، محفظة ٨ ، قضايا المتهمين أ ، الأوراق المضبوطة بمنازل المتهمين ، أحمد عزابى باشا ، دوسيه ٥٣/د/٥٣ ، ٧/د/٥٣

تخلو مقابلة من مقابلاته مع القناصل الا وكان يعرضها ويشكو الأمر^(٧١) .

وأخيرا وعندما وجد اسماعيل انه من المستحيل تحويل الثورة عن مسارها واستخدامها لخدمة أغراضه بالوصول على أكتافها لعرش مصر انعطف الى طريق آخر ودبر خطة بايجاد حركة مضادة تقضى على الثورة، وفى زمرة الاضطرابات التى يمكن أن تحدث تكون الفرصة لدخول مصر واستعادة ملكه ، فكانت المؤامرة الشركسية لاغتيال قادة الثورة والتى كان له يد فيها « وهذا يؤدي الى ايجاد ثورة مضادة تحدث دوامة تهيبىء لاسماعيل فرصة العودة »^(٧٢) ويحال عرابى الموقف بقوله : « طاب احداث الفتن والانقلاب لعله يصادف انقلابا نقول فيه أوروبا بأن حكومة مصر لا تكون أمينة من الاضطراب الا اذا أطلقت فيها التصرف للخديو »^(٧٣) ويمضى ليبين ما ظلم به اسماعيل مصر والمصريين . وفى خطاب من محمد عبده الى بلنت فى ٢٥ أبريل يسب فيه اسماعيل وينسب اليه العمل من أجل القضاء على الثورة « الخديو اسماعيل العدو الأكبر لمصر ، يجد سعادته فى عمل الدسائس لكى يدمر حكومتنا ويفكر انه بعمله هذا يمكنه العودة الى مصر ، لكن الله بدد آماله فذهبت مع الريح ، فكل مصرى يعلم أن رجوع اسماعيل لايعنى سوى دمار مصر »^(٧٤) .

وبذلك فشلت جميع المحاولات أمام صمود الجبهة الثورية ولم يعد اسماعيل الى مصر ليحكمها بالكرباج وبالسجون والمعتقلات ، لكن نيوارى فى ترابها .

(71) Politisches archiv, Alexandrien, Fasz XXXVIII/195, No. 2863, Rapport du Baron kosjek au Ministre des Affaires Etrangeres, le Caire, 5 Decembre, 1881.

(72) Blunt : op. cit., p. 249.

(73) Broadly : The trial and Pardon of Arabi Pasha, vol. II.

(74) Blant : op. cit, p. 249.

Figure 1. The effect of the concentration of the *Agrobacterium* suspension on the transformation efficiency of *Agrobacterium* strains.

[illegible]

2000 年 12 月 10 日 星期日